وملخص كلامنا ان المدينة الحثية ازدهرت في القرن الرابع عشر ق.م ثم مالت الى الاضمحلال في القرن الثالث عشر الى الحادي عشر ثم رجعت وقويت سلطتهم ما بين القرن الحادي عشر والتاسع واندثرت نهائياً في الجيل الثامن ق.م.

صبحي صواف

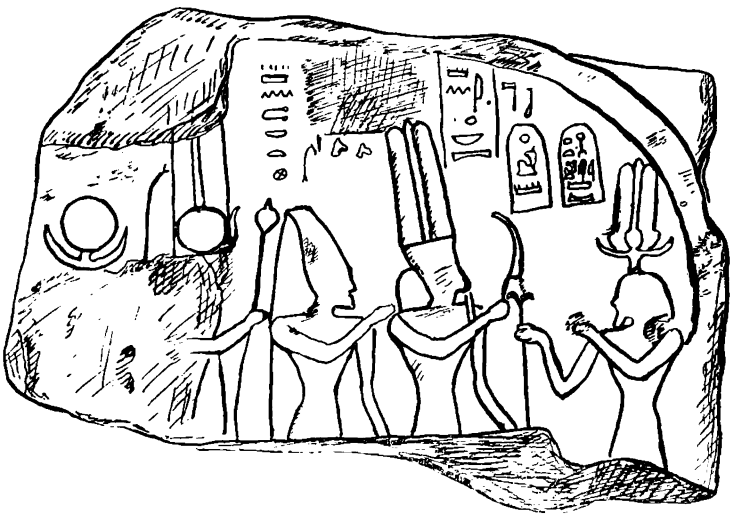

النصب الذي عثر عليه في بقعة قادش « تل نبي منـد »

يمثل هذا النصب من الجهة اليمنى صورة لفرعون « ساتي الاول » امام اربعة آلهة ، يتناول من يدي الاله أمون كبير آلهة طيبه صولجان النصر بعد انتصاره على الحثيين ووراء امون يأتي معبود سوري ويتبعه معبودان مصريان وهما « مونتو » وخونسو »

الحثيين مرة ثانية ذلك نحو سنة ١٢٩٥ وعد « رعمسيس الثاني » والمصريون هذا الانتصار ظفراً باهراً تناولته الشعراء بمدائحهم . وعقب هذا الانكسار موت «مرسيل» فقام مقامه خلفه « متللو » وجرب ايضاً ان يقاوم المصريين ولكن سرعان ما خابت آماله تخلى عن العرش لاخيه «كاتوسيل» فابرم هذا معاهدة مع « رعمسيس الثاني » وبقيت اللوحة الفضية التي كتبت عليها المعاهدة الى يومنا هذا وهي من اقدم الآثار السياسية التي وجدت حتى الآن . وبعد سنين قليلة اقترنت ابنة « كاتوسيل » بالفرعون رعمسيس فتحولت بذلك علاقات الانقياد الى علاقات عائلية واخذت من ذلك الحين تضمحل قوة الحثيين شيئاً فشيئاً حتى تلاشت وذلك منذ اتفاقهم مع حلفائهم المصريين .

ونحو سنة ١١٠٠ ق.م انقلب ملك الاشوريين «تغلا تفلاسر» على مملكة الحثيين ثم اجتاز جبال لبنان ودخل فينيقيا وعندئذٍ ارسل اليه فرعون مصر هدايا ودية لكي يستميله اليه فرجع « تغلا تفلاسر » الى بلاد بابلون وبقي يتلف تلك البلاد مدة سنتين حتى قام اخيراً ملك بابلون « مردوك نادن اكي » وتغلب عليه وطرده من بلاده ودخل بدوره بلاد اشور واخذ منها تماثيل الآلهة غير ان خلف «تغلا تفلاسر» حاولوا ان يأخذوا بثأره فخابت مساعيهم ونحو ١٠٦٠ انتصر الحثيين على الاشوريين في موقعه قرب كركميش « العاصمة الثانية للحثيين» غير ان سلطة الحثيين اضمحلت في عهد ملوك اشور العظماء الذين يعدون من اعظم فاتحي ذلك الوقت الا وهم : « سرجون الثاني » و« سخاريب » و « اسرحدون » و « اشور بانيبال » ومن ذلك الوقت لم يبق للحثيين اي كيان سياسي .

وادي العاصي بالاراضي الخاضعة للفراعنة وعقد اتفاقاً مع امراء الاموريين والساميين الذين كانوا في لبنان والذين كانوا يحاولون التخلص من نير المصريين ولكنه كفى خبر مجيء جيش عظيم من المصريين ليضطر «سبي لوليوما» بالرجوع الى الوراء.

لكن عند موت «امينوفيس الثالث» رجع «سبي لوليوما» الى عمله الاصلي فاخذ يحارب حلفاء مصر وانتصر على امير الاموريين «ازيروا» الذي كان منتمياً الى المصريين وفي هذا الوقت كان «ماتيوذه» احد اولاد ملك الميتانيين «دوشراتا» قد فتك بوالده واقام محله فخالاً عقد «سبي لوليوما» معه تحالف ثم اخذه لعنده وزوجه ابنته عندما خلعه من العرش احد اخوته ثم لم يمضِ عليه قليلاً حتى رجع واستولى ثانية على زمام مملكة ميتاني وهكذا بقي خاضعاً للحثيين. وعند موت «سبي لوليوما» كانت مملكة الحثيين تمتد من جبال الفريجي غرباً وبحر الاسود شمالاً وبلاد الآشوريين شرقاً وفلسطين جنوباً.

لكن «مرسيل» خلف «سبي لوليوما» لم يتمكن من تثبيت دعائم مملكته كما كانت اذ انه اصطدم باعظم فاتحي مصر الا وهما «ساتي الاول» و«رعمسيس الثاني» وعندها زحفت الجيوش المصرية لمقاومة الحثيين والتقوا بقرب بقعة قادش على شواطئ بحيرة حمص فانتصر المصريون لاول مرة على الحثيين وذلك نحو سنة ١٣١٥ ق.م ويوجد في متحف حلب الوطني نصب صغير عثر عليه في قادش التي تدعى الآن تل نبي مند يذكر انتصار «ساتي الاول» على الحثيين

وجرت ايضاً موقعة ثانية في المحلة نفسها تغلب فيها ايضاً المصريون على

انفسهم هبطوا وادي النيل أم قبائل سورية تركت بلادها ودخلت مصر تحت تأثير ضغط الحثيين عليها ...

وما بين القرن السابع عشر الى الخامس عشر لم يعرف شيء كثير عن الحثيين ؛ اما في القرن الرابع عشر فيوجد لدينا معلومات كافية توضح عن شيء من حياة واعمال هذا الشعب الذي مثل دوراً مهماً بين المدنيات الشرقية ويرجع الفضل بذلك الى اللوحات الأثرية التي وجدت في العمارنة بمصر المكتوبة بالخط المسماري والتي تدل على مراسلات ملوك الشرق الخاضعين لفرعون مصر « امينوفيس الثالث » وايضاً للوحات التي وجدت في مكتبة هيكل المعبود الاكبر تيشوب في بلدة حاتوشاه المسماة حالياً بوغاز كوي في كبدوكيا

وحيال سنة ١٣٧٠ ق.م كان ملك الحثيين « سبي لوليوما » من اعظم سياسيي عصره

وفي ذلك الحين ايضاً كانت جميع ملوك الشرق خاضعة لفرعون مصر منهما ملك الميتانيين «دوشراتا» فلكي يتقرب من امينوفيس الثالث زوجه اخته «واسور اوبالي» ملك اشور كتب لفرعون ايضاً شاكياً له بان جاره ملك الميتانيين وصله منه عشرين مثقالاً من الذهب وهو لم يصله شيء ؛ ويوجد ايضاً كتاب من ملك البابليين « بورنابورباس » يشتكي فيه ايضاً من ان ملك اشور الخاضع لبابلون يكاتب رأساً فرعون بدون استشارته .... وخلاصة القول انه لم يكن في ذلك العصر احد يقارع فرعون سوى زعيم الحثيين المتقدم الذكر « سبي لوليوما » اذ اخذ هذا بدوره يدس الدسائس بين امراء البلاد الموالين للمصريين ودخل

لمحة عن تاريخ الحثيين

لقد تضاربت الآراء لمعرفة اصل الحثيين ومصدرهم ، ولعلنا نتساءل هل يا ترى أتى هذا الشعب من اوربا الى آسيا عابراً البوسفور ؟ ام من الكوكاز ؟ ام من داخل آسيا ؟... وعلى كل لا تزال المعلومات غامضة عن هـذا الشعب ولا يعلم بالتحقيق منبت اصله .

جل ما نعلم عن هـذا الشعب الآري الاصل انه كان في بادئ الامر منقسم الى امارات ، جزء منها سكن في الاناضول عند نهر « كيزيل ارماك » الذي كان يدعى نهر هـاليس حيث توجد عاصمة الحثيين حاتوشاه التي تدعى الآن بوغاز كوي وهي لربما التي اطلقت على هذا الشعب اسم الحثيين اي التابعين للقبيلة التي كانت قاطنة في بلدة حاتوشاه . والجزء الثاني سكن في شمال سوريا عند جبال الامانوس والطوروس في شمال وادي العاصي .

في قرن الالفين ق.م عرف ان قوة هذا الشعب اصبحت كافية ولا سيما عندما وحدوا شملهم تحت سلطة امراء بلدة « الحاتي » اي حاتوشاه فاخذوا يحاربون الشعوب السامية القاطنة بجوارهم وتقوّوا ايضاً بالزحف والاستيلاء على البابليين وقلب مملكتهم وذلك حوالي سنة ١٩٢٥ ق.م

وفي القرن الثامن عشر تقريباً زحفت قبائل رحل آسيوية على مصر فاطلق عليها اسم الهكسوس واننا لا نعلم شيئاً عن حقيقة هؤلاء الملوك الرعاة أهم الحثيين

والفرنسيس والنمساويين والانكليز والبولونيين والروس والقبط والحبش والارمن وفي بداء القرن الماضي جاء الشام قبائل كثيرة وجاليات مهمة من الداغستان والبوشناق والششن والشركس والمغاربة فنزلوا بعض القرى في فلسطين وعمان وعين صويلح ، وناعور ووادي السير وفي اقليم الجولان ومنها القنيطرة وبعض قرى حمص وحماه وحلب ولم يأت عليهم بطن حتى استعربوا الا قليلاً وفي اوائل الحرب العامة وبعدها هاجر ما يزيد عن ميئاة وثمانين الفاً من الارمن والروم بسبب حوادث كليكية وازمير واستانبول والولايات الشرقية فنزلوا حلب ودمشق وبيروت ولبنان وغيرها من البلدان السورية ولعلهم يتمثلون في في مجموعة اهليها ويكونون عنصراً عاملاً في خدمة البلاد وترقيتها وبذلك تصبح المجموعة السورية متمازجة ومتماسكة الاجزاء لتوحيد جهودها ، وعمرانها، وثقافتها وسياستها شأن الامم الراقية الموحدة .

حلب الدكتور عبد الرحمن الكيالي

ان يوسيانيوس ملك الروم اخذ اثنى عشر الف مقاتل من المردة او الجراجمة على رواية الدويهي ارضاء للخليفة عبد الملك الاموي. واسكن ابو جعفر المنصور بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلاد المردة في لبنان. وجلا الامير فند ابن مالك واخوه ارسلان بجماعة من عشيرتهما في بلاد المعره سنة ١٤١ هـ ونزلوا في وادى التيم في الحصن ثم تفرقوا في لبنان وعمروا الخالي من ارضه. وفي اوائل حكم العباسيين اخرج صالح ابن علي قوماً من الارمن واللان ممن كانت الروم تسيرهم من ارمينيه مع كوشان جاتليقهم واسكنهم سوريه. وفي سنة ١٨٩ ارسل هرون الرشيد منشوراً الى ثابت ابن نصر الخزاعي امير الثغور الشامية ومناشير اخرى الى باقي عمال الشام ان يطلقوا البقية بالرحيل الى لبنان لتشتد قوة امرائه. وفي عهد دولة بني مرداس العربية في حلب نزل التركمان شمالي المملكة وسير الاتابك زنكى طائفة من التركمان الايوانيه مع الامير يارق واسكنهم ولاية حلب. واسكن صلاح الدين كثيراً من التركمان والاكراد في لبنان وساحله وقد كثروا جداً في الشام على عهد الدولتين النوريه والصلاحية فتدبروا البلاد واستعربوا الا قليلاً. وفي ايام دولة المماليك كثر الشراكسة في البلاد الشاميه ولكنهم استعربوا مع حكومتهم. وفي عهد العثمانيين نزلت قبائل التركمان في بيلان وما اليها وعادت هذه فتعربت بما كان نزلها من الاسماعيليين العرب. وفي القرن الحادي عشر كما قال كاتب جلبي كانت تتكلم في الشام انواع الالسنة الغريبة وكان هناك مغاربة وسريان وعرب وفي الاسكندرونة وطرابلس وصيدا والقدس كان يوجد طوائف من اليونان واللاتين والطليان

الى البحرين ثم رحلوا الى الحيرة وغربي سورياوانشؤا فيها دولتهم . ثم ان افخاذ كلب وجرم والعلاف لحقت بالشام وقبائل بلي وبهرا عادت الى بلاد اليمن . وتفرق عن آياد ايضاً قبائل رحلت من تهامه الى العراق بعد حرب جرت بين ربيعة ومضر ثم توطن قسم منها في تكريت الجزيرة والموصل . وتشعبت عن عن قبائل (ربيعه بنو بكر ، وتغلب وعنزه وضبيعه) وكان بينهم حروب ووقائع انتهت بتفرقهم بين اليمامه والبحرين وسواد العراق والهيث ، وبادية الشام واطراف الجزيرة حتى بلاد بكر ابن وائل «١»

اذا عرفت هذا وهو القليل مما يجب ان يفصل ساغ لك ان تقول ان اكثرية الاقوام في سوريا انما هي من بقايا الساميين وان اكثرية الساميين هم من بقايا السلالة العربية ولكن هنالك اقوام محدودة تشكل جزءً مهماً في الكيان السوري يجب ذكرهم وهي بقايا المردة والجراجمة والارمن. ذكر كتاب الخطط

---

(١) يذكر اليعقوبي في تاريخه ان اهل حماة قوم من اليمن والاغلب عليهم «بهراء وتنوخ » . واهل حوران من اياد . واهل حمص جميعهم يمنيون من طيء وكندة وحمير وكلب وهمدان واهل التمنه من اقاليم حمص من كلب واهل سلمية من ولد عبدالله ابن صالح الهاشمي وموالهم . واهل تدمر من كلب. و (تل مناس) والمعرة من تنوخ . واهل البارة وافاقية من عذرة وبهراء . واهل شيزر بين حماه وحلب من كندة . ومدينة كفرطاب والاطميم من يمن واكثرهم من كندة . واهل اللاذقية يمنيون من سليح وزيد وهمدان ويحصب ومدينة جبلة من همدان وبها قوم من قيس واياد ومدينة بانياس من الاخلاط . وطرطوس اهلها من كندة . ودمشق منازل غسان وبها قوم من قيس . وأذرح ومآب من غسان وموالي بني هاشم ، وقيس واكثرهم بنو مرة . وجبل صنين والقلمون ووادي التيم من بني ضبة وبها قوم من كلب .

ومثلتهم كما هو من سنن الاقوى وبقاء الاصلح

ما هي القبائل العربية التي اقامت في سوريا ؟

من المعلوم ان العرب تنقسم الى قسمين سكان الجنوب وهم شعوب قحطان. وسكان الشمال وهم شعوب عدنان . فالقحطانيون هم قبائل اليمن وسكانها . وقد كانت لهم دول وعمارات وحضارات فلمّا عدت عليهم عاديات الدهر تفرقوا في البلاد فذهب «من كهلان» من سكن الحجاز وغلب اليهود على يثرب وكان من اعقابه الاُوس والخزرج . ثم احتلت « خزاعة » مكة ومال الازد نحو عمان فبنوها . ثم ذهب قسم من الازد الى تهامه . وجاء الغسانسه الى دمشق وتوابعها وكانت لهم سلطة استدامت ستة قرون وتغلبت على معظم البلاد الشامية. ونزل بنو لخم في الحيرة فاقاموا فيها دولة المناذرة وآل نصر . والعدنانيون هم قبائل الحجاز ونجد . واشهر بطونهم عك ومعد . وهذه الاخيرة كثرت قبائلها وانقسمت الى قسمين كبيرين نزار وقنص . وكان من « نزار » ان تفرعت عدة قبائل وفروع اهمها [قضاعة ومضر وربيعة واياد وانمار] . فقضاعة ، سكنت شواطئ بحر الاحمر ، ومضر ، في حيز الحرم الى جبال السروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد ؛ وربيعة في مهبط الجبل من غمر (ذي كندة) وبطن « ذات عرق » من بلاد نجد الى الغور من تهامه. وآياد وانمار ، سكنت ارض مضر الى حد نجران . ونزح من قضاعة قبائل عديدة منها تيم اللات ذهبت الى البحرين ، وتزيد ابن حلوان ذهبت الى ارض الجزيرة بالعراق ، وسليح جائت الى مشارف الشام وفلسطين ، واسلم سكنت نجد ، وتنوخ يممت

والى لبنان حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد فحاربوا اقوامها واسسوا دولهم. ثم حدثت هجرة رابعة وهي هجرة النبطيين الى شبه جزيرة سينا قبيل الخمسماية من الميلاد وتلاها هجرة خامسة عربية حدثت سنة ١٢٠ قبل المسيح بعد سيل العرم وكانت الى جنوب سوريا ووادي الفرات . واخيراً كانت هجرة العرب سنة ٦٥٠ بعد الميلاد الى سوريا والعراق وغيرهما عندما امتد سلطان الاسلام . هذا مختصر ما كان من امر هجرة السلالات السامية التي يجب ان نضيف عليها هجرة الهيكسوسيين او العمالقة الى مصر وهجرة الاسرائيلين «١» الى مصر وفلسطين وشمالي سوريا وتأسيس دولهم فنرى من كل ما ذكر ان سوريه ماءت منذ ستة آلاف سنة بالساميين وقد استوطنوها وتغلبوا على من كان فيها ثم تغلبت الهجرات العربية المتوالية عليهم حتى في ايام الرومان والبيزانطيين والحكم الاسلامي فكان التمايز العرقي الاخير لتلك القبائل التي اورثت لغتها ودمها ، وتاريخها ، وادابها لمن تقدمها

---

(١) يذكر الاستاذ كرد علي في كتابه الخطط صحيفة ٥٨ ان اصل العبرانيين او اليهود سبط من الساميين نزلوا من جبال ارمينيا الى سهول الفرات فالقفر فالشام حتى انتهوا الى ما وراء الاردن وفنيقية وتعرف هذه بالاسباط العبرانية اي اهل ما وراء النهر. ويقول الدكتور ولفنسون في كتابه اللغات السامية صحيفة ٧٧ عن اللغة العبرية . ان هذه اللغة تنسب الى امة تتألف من بني اسرائيل وجملة شعوب اخرى تصلها بها صلة القرابة الدموية كبني اسماعيل ، وبني مدين والعمالقة وآل ادوم واهل موآب وعمون . وقد نجم بنو اسرائيل من بين القبائل العبرية في طورسينا وشمال الحجاز ثم استولوا على فلسطين حوالي القرن الثالث عشر ق.م ويذهب العالم الانكليزي مرجوليوث الى ان الوطن الاصلي لبني اسرائيل انما كان بلاد اليمن . والاغلب انهم من سكان جزيرة العرب هاجر منهم قبائل الى شمالي العراق وما وراء النهرين ثم عادوا بعد الطوفان. وقد كانت قبائلهم رحل تتلطب المراعي وتنزح اليها حيثما وجدتها .

تحت تأثير عوامل مختلفة . ومن هذه الهجرات مجيء الاشوريين والكلدانيين الى الجزيرة العليا قبل ثلاثة آلاف سنة او اكثر من ميلاد المسيح فازاحوا السومريين من جنوبي العراق والكاديين من شماله واسسوا دولة بابل الاولى وكان من ملوكها سرجون الاول سنة ٢٧٧٥ ق . م . فاستقل بمملكة بابل هو وابنه (نرام سين) وامتدت سلطته وسلطة ابناءه من فارس الى البحر المتوسط وجزيرة سينا التي سموها « مغان » او « معان » ثم اعقبه حكم القبائل الكنعانية الاولى وكانت قد انتشرت حوالي الثلاثة آلاف سنة قبل المسيح في سوريه وفلسطين ثم اجتازت بادية الشام وامتدت الى نهر الفرات . وتأسس منها دولة حمورابي من سنة ٢٤٦٠ـ الى ٢٠٨١ قبل المسيح وكان اول ملوكها « ساموابي » او سام ابي » وبعده بستة ملوك ظهر حمورابي سنة ٢١٠٠ ق.ب وهو واضع اول شريعة قانونية معلومة وفي ايامه بعث ابراهيم الخليل وقد جاء من اور الكلدانيين . وبعد زوال هذه الدولة نشئت الدولة الاشورية في الشمال سنة ٧٤٥ ق . م وكان «سرجون الثاني»[1] وسنحاريب ، وآشور بانيبال» من اعظم ملوكها وقد اخضعوا الى سلطانهم الخليج الفارسي وبحر الخزر وارمينيا ومصر وسوريه ثم حدثت هجرة ثانية وهي هجرة الاموريين والكنعانيين حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد . فالاموريون اتوا الى شمالي سوريا والكنعانيون الى الجنوب منها . واعقبها هجرة ثالثة وهي هجرة الآراميين . نزحوا من الجزيرة العربية الى شمالي سوريا ووسطها

---

(١) سرجون الثاني هو الذي نقل اسباط بني اسرائيل العشرة الى الاسر من فلسطين ووضعهم في نينوى .

الشام ، والفينيقيون على شواطئ سوريا ، والعبرانيون في فلسطين والعرب والأثيوبيون في الحبشة . (والثاني) رأى علماء اشتقاق اللغات وعلم الاقوام . وهؤلاء منهم من يتخذ اللغات السامية اساساً لتعيين الموطن الاصلي ومنهم من يتخذ التركيب البدني والعادات والعقائد ومنهم من يتخذ التحليل البيولوجي والعقلي ؛ ولذا كان قول بعض العلماء المستشرقين ومنهم (سالت ، وريغر) بان مهد الساميين قد يكون القطعة المظلمة (افريقيا) نظراً لما بين اللغات السامية والحامية من تشابه. وذهب البعض الآخر ومنهم [سبرنغرر ، وشريدر ، وونكلر] الالمانيون و «روبرتسون سميث» الانكليزي وغيرهم الى انه في جزيرة العرب ومنها تفرقت سلالاتهم كما تفرقوا في صدر الاسلام ؛ وقال آخرون وعلى رأسهم «جويدي» العالم الايطالي انه في جنوبي الفرات واسندوا اقوالهم الى اسباب جغرافية طبيعية تتعلق بتفرق النبات والحيوان واسماءها في اللغات السامية . وادعى فريق آخر متوسعين في اراءهم بانه في الحبشة ومنها عبر الساميون الى جزيرة العرب من مضيق «باب المندب» الى اليمن قبل زمن التاريخ وتكاثروا ثم انتقلوا منها الى الحجاز ونجد والبحرين ونزحت طائفة منهم الى فلسطين وفيها الفلسطينيون القدماء ، وطائفة الى العراق وفيها السومريون او الاكاديون وهؤلاء طوارنيون تمدنوا وتحضروا . وطائفة الى فينيقيه فعمروها . ويرى اصحاب هذا المذهب ان العبرانيين نزحوا من الحجاز ، والآراميين نزحوا من نجد لان ارام معناها الجبال ونجد جبليه . ولكن هذا الرأي لم يعول عليه اكثر العلماء اما هجرة الساميين فالتاريخ يحدثنا بان هنالك عدة هجرات جرت في ازمان مختلفة

بقاياهم في الشعوب السامية التي هاجرت قبل العصور التاريخية ولم يعرف العلماء موطنها الاصلي كما لم يعرفوا تماماً موطن من سبقهم .

ولو اردنا تتبع ما اورده العلماء في هذا الصدد لتبين لنا رأيان (الاول) رأي اهل التوراة وهو ان مهد الساميين كان في نواحي ارمينيا او جبال ارارات وذلك بالنظر لرواية الطوفان وما كان من سفينة نوح ثم تبلبل الالسنة . او ما بين النهرين . وان سام الذي هو احد اولاد نوح الثلاثة قد كثرت ذريته هنالك وتناسل احفاده فكان منهم الاشوريون والبابليون في العراق والاراميون «١» في

انهم ٦٣ . والذين اتفق عليه معظم العلماء انهم ينقسمون الى ثلاثة (القوقاسيون او البيض والمنغوليون ، او ذوات السمره ، والسودانيون او ذوات اللون الاسود) ومن هؤلاء تشعب اقسام اخرى عديدة .

(١) الآراميون من الشعوب السامية التي هاجرت من جزيرة العرب واستوطنت سوريا خلال القرن الخامس عشر ق . م وقد سكنوا شمالي سوريا من غربي الجزيرة العليا الى شواطئ البحر المتوسط وسمي هذا الجزء باسمهم (آراميا) ومعناه المملكة العليا ومنهم من سكن جوبي آسيا الصغرى اي كيليكيا وباقيهم استوطنوا سوريا الوسطى ما بين جبال لبنان الشرقية وبادية الشام . وقد تجمعت المملكة الارامية في مركزين احدهما شمالي ويسمى (آراميا الشمالية) وهو ما تكون من اراضي الجزيرة العليا الغربية الى شاطئ البحر المتوسط والثاني جنوبي ويسمى (آراميا الجنوبية) وهو ما تكون حول دمشق . ومن اشهر حصونهم في الشمال (تابساكوس) الواقع مكان (مسكنه) الحالية في الجنوب على نهر الفرات «وساموزاط» الواقع في الشمال نواحي بيره جك . و(قاركاميش - اي قلعة جرابلس) الواقعة في الوسط وفي الجنوب فقد كانت «دمشق» عاصمتها وامتدت مملكتها حتى اتسعت الى الصحراء واما «تدمر» فقد كانت مملكة عربية تأثرت بالآرامية لغة وحضارة كما تأثرت باليونانية والرومانية ومن اشهر المدن الآرامية الجنوبية آرام صوبا في حوران وارام بيت رحوب على ضفاف اليرموك وآرام مغما في منطقة جبل الحرمون .

على ذلك ما وجده العالم الانكليزي [نورفيل بيتر سنة ١٩٢٥ في كهف على ساحل بحيرة طبرية الغربي من آثار متحجرة لعظام بشرية ثم ادوات حجرية يرجع عهدها لشعوب قديمة عاشت في تلك العصور وانقرضت بعد ان غمر البلاد سيل من هجرة الاقوام السامية .

من هم هؤلاء الاقوام ولأي السلالات ينتمون ؟ وهل كانت سوريا ، او الجزيرة العربية ، او ما بين النهرين مهداً للبشر . واذا لم تكن فأين كان مهد الساميين وكيف هاجروا اليها ؟

ان هـذه الاسئلة المهمة يقتضي الجواب عليها ؛ ولكن العلم يحتار في الجزم والتعيين ومعرفة الحقيقة . فالعلماء منهم من يقول ان الموطن الاصلي للانسان كان في بلاد القوقاس او في ما بين النهرين ، ومنهم من يزعم انه في بلاد التيبت او في جنوبي الهند ، ومنهم من يعتقد انه في الصين او بلاد افريقيا ، ومهما يكن فالمعروف ان الاقوام الذين سكنوا سوريا قبل التاريخ كانوا من اصل غير سامي (نسبةً الى سام ابن نوح) . واستندوا الى دعواهم بما عرفوه عن عاداتهم وتركيب جماجمهم . غير ان هذه الاقوام سواء كانوا آريين او حاميين او منغوليين او غيرهم من السلالات «١» البشرية فقد انقرضوا واندمجت

---

(١) يختلف العلماء بتحديد عدد السلالات فمنهم « بلبومباخ Blumeuboik يقول انهم خمسة (القوقاسيون ، والمنغوليون والمايون والامريكان الهنود ، والسودان) . وفي سنة ١٨٠١ ادعى ويري Virey انهم اثنان وفي سنة ١٨٧٠ ادعى مورتون Morton انهم (٢٢) وفي سنة ١٨٦٠ ذكر هيكسلي انهم ١٩ وفي سنة ١٨٨٥ ذكر توبنيارد Topinard انهم ١٩ وفي سنة ١٩٠١ عدهم دنيكر Dinker ٢٩ وفي سنة ١٩٢٦ قال بورك Burke

ومعناها يشمل من الغرب البحر المتوسط او بحر الروم ،ومن الشرق البادية من أيلة «١» الى الفرات ، ثم يذهب الحد من الفرات الى حد الروم او اسيا الصغرى ومن الشمال، بلاد الروم ومن الجنوب، حد مصر و تيه بني اسرائيل: واليوم هي [ولاية حلب وولاية الشام وولاية بيروت ومتصرفية لبنان ، وفلسطين] كما كانت ايام العثمانيين .

من هم الغزاة والفاتحون الذين غزوا سوريا او فتحوها واستوطنوا فيها ؟

اثبت التاريخ ان هذه البقعة المستطيلة الشكل والتي اختلف في حقيقة مساحتها قديماً وحديثاً قد غزاها اقوام كثيرة قبل التاريخ وبعده ؛ منهم المصريون ، والحيثيون ، والفرس ، واليونان ، والرومان ثم استوطنوها بجنودهم واقوامهم وشعوبهم عصوراً وقروناً ولما زالت دولهم كما زالت دول المغول ، والتتار ، والصليبيون ، والاتراك بعد فتحهم اياها وحكمهم لها زمناً ، امتزجت شعوب هذه الدول الفاتحة بسكانها الاصليين وذابوا في مجموعهم ولم يبق لهم من مقوماتهم وميزاتهم ما تكسبهم الوجحانية او التفوق السلالي .

من هم سكانها الاصليون ؟

لا شك ان سوريا كانت آهلة بالاقوام منذ ٣٠،٠٠٠ سنة واكثر «٢» وقد دل

---

(١) أيلة ، مدينة قديمة على البحر الاحمر وهي على مقربة من العقبة اليوم

(٢) ان نشؤ الانسان يرجع الى ٦ ملايين سنة ويقول علماء طبقات الارض انه في ذلك الحين استعمل الادوات الحجرية ومنذ مليون ونصف سنة استعمل الادوات اليدوية ومنذ نصف مليون سنة عرف المجتمع ، ومنذ ٣٠،٠٠٠ سنة عرف الدين .

وتركوا فيها تراثهم المادي والمعنوي. فكانوا بهذه الاكثرية العميمة والهجرات المتوالية اهليها الحقيقيين ، وسندتها الخالدين .

« وبعد » ما هي سوريا واين حدودها ؟

ان سوريه كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية [كلمة لم يرد ذكرها في اللساني العبري في التوارة ولم يذكرها سوى « هومر » الشاعر اليوناني ، وهيرودتس المؤرخ الشهير الذي قال عن السوريين بانهم من الاشوريين وهؤلاء من قبائل البربر . واطلق الاسم المذكور ليشمل قسماً من جنوبي جبال طوروس. والحقيقة ان (سوريه) لا تعني (آشورية) بل هي كلمة بابلية مشتقة من [سوري (Suri] اي الشمال اطلقت لمقاطعة في شمالي الفرات . ومن حيث علم الاقوام، فان السوريين معناه السكان الذين توطنوا خارج الجزيرة العربية وما بين النهرين ولم تكن اللفظة (سوريه) ايام اليونان او ما قبلهم تعني منطقة معينة بل كانت تشمل مقاطعات عديدة [دياربكر Com magene وبلاد حرّان Cyrrhestia وفينيقيه Phenicia وفلسطين Palastiné الخ] ولكن في ايام الرومان نجد لها حداً معيناً يشمل وادي العاصي بقي مفهومه حتى ايام البيزانطيين]

وفي اول الفتح العربي نجد اللفظة قد اطلقت كما جاء في (معجم البلدان)، على موضع بالشام بين « خناصرة » وسلمية ثم قال البكري ان سوريه اسم للشام ، والشام على ما عرفته العرب يتناول عامة البلاد الداخلة اليوم في فلسطين وسوريا بحسب الاصطلاح الحديث . وقال المسعودي ان سوريه هي الشام والجزيرة

الاقوام السورية قبل التاريخ وبعده

لعله من اصعب المسائل العلمية معرفة الاقوام التي قطنت سوريه منذ وجود الانسان حتى فجر التاريخ ومنه حتى ظهور الاسلام في جزيرة العرب وامتداد سلطانه على هذه الربوع وغيرها ، ومن بعده حتى زوال الدول العربية واستيلاء الاغيار عليها .

والسبب ان سوريه من اقدم الممالك التي رافقت عصور نشوء الانسان وارتقاء البشرية،وشاهدت تطور المجتمع وتكوين الشعوب والاقوام،وعاصرت ازدهار الحضارات وظهور الاديان – ولموقعها الجغرافي ، وكونها جسر الاتصال، وممر الفاتحين والغزاة ، في معظم الوقائع والحروب العالمية ، فقد مزجت من سكنها او احتلها او مر بها من اجناس البشر او سلالات الامم ، ببعضهم البعض بقوة التمثيل وبقاء الاصلح وتأثير المحيط ، فغدى من المستحيل تفردها بنوع منهم دون الاخرين . ولكن رغم العوامل الجارفة من فتح ، واستيلاء واستعمار فان الجزيرة العربية التي هي بحكم الطبيعة – طبيعة الموقع ، والاستنبات ، والاكتساح ، والحاجة – بقيت المسند الوحيد لوقايتها من الانقطاع عن معقلها الاصلي ، والمصدر الدائم لتزويدها بالساميين الذين ملئوها قبائلاً وشعوباً واستوطنوها جنوداً ودولاً واستثمروها فلاحة ، واقتصاداً ، ودِيناً ، وعمرانا واتخذوها موطناً ابدياً لهم ولاحفادهم وانشؤا فيها دولهم وحضاراتهم وثقافتهم